من مبادئ القرآن

من المبادئ القرآنية والتي تهمّ الإنسانية بأكملها :

١ـ التركيز على العقائد :

وما أكثر الآيات التي تدور في فلك التوحيد، ونبذ الشرك، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣٠ـ٣١].

وبالتالي ، فلا واسطة بين الله وبين عباده ، إنما الباب مفتوح لكل من أراد ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

إضافة إلى ذلك فقد جاء التركيز القرآني على عقيدة الإنسان بالنبوة والرسالة ، حيث حاجة الناس إليهم ، كما قال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

إضافة إلى التركيز على الإيمان باليوم الآخر ، بما فيه من جزاء وحساب ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج : ٥] .

كل هذا يجعل الإنسان يقف متأملاً ومتفكراً في أن القرآن حفل بالثناء على الله ، من أجل الوقوف طويلاً عند خلقه ونعمه وآلائه، وهذا هو الهدف الرئيس من خلق الله للإنسان ، وهو التعرف على الله ، وعبادته سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

٢ـ التأكيد على كرامة الإنسان :

حيث اعتبره المخلوق المدلل على الله ، خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، واعتبره خليفته في أرضه ، وسخر له كل ما في هذا الكون ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقرّر له حقوقاً لم ولن تعرفها البشرية، مثل : حقه في حرية الاعتقاد، وفي المساواة، وفي تكوين الأسرة، وفي الحياة، وفي السير والعمل والكسب، وفي صيانة ملكه وماله ودمه، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وخصّ الفقراء بعنايةٍ فائقة ، وذلك من خلال المحافظة على أموال اليتامى ، وفرض حصةٍ لهم في أموال الدولة ، بل وشرع القتال دفاعاً عنهم ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر : ٤٢ـ٤٤] .

وقوله عز وجل : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء : ٧٥] .

وأكد القرآن كثيراً على تزكية النفس البشرية ، معتبراً الفلاح مرتبطاً بالتزكية ، قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ٧ـ١٠] .

ولا تكون التزكية بالأحلام ، إنما لا بدّ لها من مجاهدة وجهاد ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

٣ـ الانفتاح على العالمين :

من المبادئ القرآنية التأكيد على الروابط الأسرية، ولذلك اعتبر الزواج عبادة، رافضاً الرهبانية من جهة، والإباحية من جهة أخرى.

ووضع الهدف من الزواج ، وهو الذرية الصالحة ، كما قال تعالى ، وذلك في معرض الحديث عن عباد الرحمن : ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

ثم وسّع القرآن دائرة الأسرة ، ليصبح التركيز على الأمة ، والتي تقوم على العقيدة ، قال تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج : ٧٨] .

وبالتالي ، وصف القرآن الأمة الإسلامية بأوصاف رائعة :

ـ **منها** : أنها الأمة الربانية المرتبطة بوحي الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

ـ **ومنها** : أنها الأمة الواحدة ، في العقيدة والشريعة والغاية والمنهج ، وبالتالي فكل الأعراق والألوان والطبقات والفروق ذابت في بوتقة الإسلام، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

ـ **ومنها** : أنها أمة الدعوة والهداية للجميع ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ـ **ومنها** : أنها أمة الوسطية ، في اعتقادها وشعائرها وعباداتها وأخلاقها وسلوكياتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

كل هذا يوجب على أفراد الأمة أن يرتفعوا فوق العصبيات والأهواء ، وأن يتكاتفوا ويتعاونوا فيما بينهم ، على

ما يرضي الله سبحانه ، ليكونوا كما أخبر سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وكما ذكر الشاعر :

أبي الإسلامُ لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

ثم وسّع القرآن الدائرة أكثر ، ليتحدث عن العالم الإنساني ، وذلك لأن الإسلام عالمي ، ودعوته للناس كافة ، وهذا ما قرره القرآن في العهد المكي ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وتجلى ذلك من خلال الدعوة إلى تحرير الإنسان من العبودية للإنسان والأشياء والأوهام ، والتوجه إلى عبودية الله سبحانه .

كما تجلى ذلك في رفع لواء الأخوة والمساواة الإنسانية ، حيث الأصل واحد ، وهم متساوون أمام الرب الواحد ، ولذلك طالبهم القرآن بالعدل ، حتى لو كان مع ألدّ الأعداء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

وعلى أرض الواقع أعلنها الخليفة عمر رضي الله عنه : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! .

كما وطالبهم القرآن بالسلام بين البشر ، كبديل عن الصراعات والحروب والنزاعات ، قال سبحانه : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] .

حتى الجهاد وخوض المعارك لا يكون إلا إنقاذاً للمستضعفين ، وتأديباً للناكثين بالعهود ، ودفاعاً عن الدعوة ، قال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

ولهذا كان من المبادئ القرآنية التسامح مع غير المسلمين، خاصة أهل الذمة، حيث أباح أكل ذبائحهم، والنكاح من نسائهم، ومحاورتهم على أساس الأرضية المشتركة، قال تعالى : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] .

أجل! هذه المبادئ القرآنية، وأمثالها فيها الصلاح والفلاح للإنسانية جمعاء .

* * *